

مدح الشاعر عبد السلام

« أنا يا صديقة، مرهق حتى العياء ، فكيف انت؟ »

وحدي أمام الموت، لا احد سوى قلقي، وصمتي . »

[عبد السلام عيون السود]

لا الدمعُ ما أحكي ، ولا شعر الرثاء .

الدمعُ مهزلةٌ تدور على قبور الأصدقاء .

غمرَ الترابُ صديقنا عبد السلام ؛

دفنوه في رآد النهار

تحت الضحى ، والشمسُ ذوبٌ من نضار ،

ومشت على أعراقه قَدَمُ البلى ، قدمُ العفاء .

★

الموتُ يقبضُ قلبَ شاعرنا الصديق ،

وقصيدهُ الفدَى العميقة ؛

وتلاوةُ الشعر ، أيّ تلاوةٍ ، كقم الربيع ،

كَبَدِ الصباح ،

تندى ، وتورق بالعطاء ...

يمتصّها عرقاً فعرقاً ، في الثرى ، دود الفناء ...

لا شعرَ بعد اليوم يُنظم ، يا رفيق .

★

لا الدمعُ ما أحكي ، ولا شعر الرثاء ،

الدمعُ مهزلةٌ تدور على قبور الاصدقاء :

خانتك أنفاسُ الحياة

و كنت تطرب للحياة ...

وحُرمت ، حتى الحُبز ، والبيت المظلل في الليالي الحالكات .

— الحُبز — مطلبنا الحقيق — كما تقول ،

عن مطمحي أضحى بعيداً ، ليس تدركه العقول !

وعَذَّتْكَ آلامُ الحياة

وعَذَّتْكَ هذا العيشُ خُبْرَ النَّائِبَات !

يا بؤسه — كالموت أسود — لا تسوّغه البطون .

وهزُلْتَ — عمرك — ، واغتديتْ لَإِزَاءنا الشَّبَحَ الكئيب

في ليله يتلامح الموتُ القريب ...

فحياته ليلٌ طويل

ومجفنه حلمٌ ثقيل

كالشوك شُدَّ عليه ، حتى ما يُضيء له النهار !

فالموت فكرته الفريدة ، لا الحياة ؛

ويخال أن الموت ، موتُ الكائنات ...

★

يا شاعري ! كم كنت تحشى الموت — وهو صنيع أعداء الحياة !

الموتُ عدلٌ ، لو مضت عدلاً بنا ، هذي الحياة .

ولكم أرى هذا الردى ، درباً نجوزُ ، بلا عذاب ،

إلا الحياة ،

بناؤها : همٌ ، وشغلٌ ، واضطراب ...

★

يا شاعري ، والراحة الكبرى وسادك في التراب :

خلقتُ إنساناً يناضل للحياة ...

ويكافحُ الموتَ الذي نخشاه ، صلباً لا يهاب .

يا شاعر الموت العريد :

الشعر بعدك للمنى ، للعيش ، للأمل الوليد

للطفل — طفلك — للسلام ،

للأمهات ، وللشعوب ، وللصداقة في الأنام ...

★

يا شاعر الموت الحزين

لو كان — يا عبد السلام — لعشنا هذا الآن !

ولكم هجوت الموتَ في ظل الحياة ؟

لم تهجُ أعداءَ الحياة ،

من جرّعوك الموتَ ، والداء الدفين

ولأخوة لك ، عاملين مُعذِّبين

ومزقّين بجزمة المستعمرين !

الموتُ للطغيان ، للمستعمرين .

والعيش للإنسان ، كان

عملاً ، وحجاً للحياة ؛

حجاً لعبد الله ، والأطفال ، والغد ، والسلام

حقداً على الموت العدو ، على الطغاة ...

★

يا شاعراً ، غشى ظلام الموت ، والشعر للكئيب :

الشعبُ يُنشد شعرنا ، للعيش ، للفجر القريب .

نصوح فاخوري

حس

(١) عبد الله : ولد الشاعر الفقيه .